ماريا تشير كاسوفا

خدم سوريا كثير من فاضلات الافرنج بمآثر من واجبات الحسناء تدوينها لا سيما ما اختص منها بالتعليم والتهذيب · وقد ذكرنا منهن سابقاً المرحومة لويزا بيرو كتر ونذكر الان السيدة ماريا تشير كاسوفا

في سنة ١٨٥١ امر الامبراطور نقولا الاول قيصر روسيا بتعليم فتاة في مدرسة بافلوفسكي على نفقته الخاصة جزاء فضل ابيها و بعد ستة اعوام نالت هذه الفتاة جائزة من الامبراطورة ماريا الكسندروفنا زوجة القيصر اسكندر الثاني مع شهادة المدرسة النهائية في اللغات الروسية والفرنسية والالمانية والموسيقى وغيرها من بقية العلوم · و كانت فتاتنا ماريا بكر والديها اسكندر ابن الجنرال تشير كاسوف وثانيتا ابنة الاميرال ساروكين · وقد ولدت في بطرسبرج عاصمة المملكة سنة ١٨٤١ واعتنت جدتها مع والديها بتربيتها اعتناء جميلاً سواء كان في املاك الجدة في داخلية البلاد او في العاصمة في المدرسة الاولى الحربية المختصة بابناء الاشراف حيث كان والدها يعلم الفنون العسكرية

ونشأت على التدين والتقوى مع الرفاهة والدلال ولكنها تيتمت من ابيها في الثامنة من عمرها · ولما حان وقت تعليمها في المدارس العالية وتكفل بذلك الامبراطور استصعبت كثيراً مفارقة امها وجدتها ولكنها رضخت للامر ولو حرمت اسباب اللهو ومكثت ست سنوات في المدرسة الداخلية تتقدم في المعارف وتتغير في المبادي، والاخلاق شيئاً فشيئاً حتى تبدلت من الطيش الى الرزانة ومن الزهو الى النسك و بعد ان كانت مضرب مثل بين اترابها في الاساءة الى البنات صارت قدوة (عن طيبة قلب لا عن رداءة) صالحة لمن فاحبتها واحترمتها خصوصاً

لاهتمامها بيث روح الاجتهاد في الكسالى وتعليم المقصرات وعكفت على الصلاة والصوم والتقشف حتى نحل جسمها واضطرت والدتها الى استرجاعها الى البيت مدة استعادت فيها صحتها وفي اثناء ذلك فكرت كثيراً في وجوب التنسك في احدى البراري لتكرس نفسها لله ومن مآثرها حينئذ انفاقها اخرجيتها على مساعدة الكنيسة وشترى غزل وصنعه اجربة للفقراء وتاليف جمعية لتهذيب النفس روحياً . ولشدة اهتمامها بالاشغال اليدوية ونقشها اعوّج كفها وتوقف نمو جسمها وباجتهد استطاعت اكمال السنوات المدرسية

ولما عادت الى بيتها اجتهدت امها بتدريبها على اساليب الاعيان في حياتهم الاجتماعية واهتمت باخذها دائماً الى الولائم والمراقص والملاعب فكانت هي تؤثر الصلوات والمعابد ولا تذهب مع امها الا اطاعة لها

وتوفيت والدتها وعمرها ٢٢ سنة فادارت املاكها ثلاث سنوات تعبت فيها وسئمت نفسها العالم فقسمت حصتها وباعتها لتتفرغ للاعمال الخيرية واول عمل باشرته مساعدة صديقة لها بالتعليم في مدرستها حيث بقيت تعلم مجاناً ثلاث سنوات ومثل هذه المدة صرفت بالتعليم في مدرسة انشأتها في مدينة باروفيتشي بعناية البرنس شاخوفسكايا وبالنظر لاجتهادها في التدريس وهنت قواها فاشار عليها الاطباء بترك المهنة فساحت في روسيا تتفقد الاماكن المباركة وتزور الاديار وتكثر من الصوم والصلاة ودرست اليونانية لتحسن فهم الانجيل

واجتمعت مرة بالخوري سرتنسكي فاشار عليها بالذهاب الى اليابان كمبشرة فاستشارت المطارنة فدعوا لها بالنجاح وبعد الجهد استطاعت التغلب على اراء ذويها وسافرت الى هنالك وعانت في سفرها من المشاق ما قلما تحتمله سيدة تربت مثلها ولما وصلت درست اللغة اليابانية واقامت في توكيو عاصمة المملكة

واخذت تعلم في المدرسة وتعظ في الكنيسة وتبشر في البيوت مدة ثلاثة اعوام رجعت بعدها لضعف طرأ عليها الى روسيا حيث كلفوها الذهاب من قبل الجمعية الفلسطينية الى سوريا فابت مراعاة لصحتها ولكنها عادت بعد ان فتحت مدرسة على ضفاف نهر فولكا فرضيت وجاءت بيروت سنة ١٨٨٧ واخذت تشتغل بالتعليم والتهذيب فانشأت الى اليوم خمس مدارس للبنات فيها نحو الف ومئة تلميذة واكثر من ثلاثين معلمة ومدرسة للصبيان عدا مدرسة الشويفات التي عدّة بها مؤسسة ايضاً لمدارس لبنان الروسية والفت جمعية لكسوة الفقراء.

وقد مرّ عليها خمس وعشرون سنة تنعمنا بفضلها بلا ملل الى ان كان هذا الشهر فاحتفى الارثوذكسيون بيوبيلها الفضي احتفاء جليلاً ويرهن عارفوها لمن لم يعرفها ما انطوت عليه من الاخلاق الكريمة والمزايا الشريفة

وساعدتها العناية بان خصصت لمعاونتها في جهادها فاضلة كرست نفسها لهذا العمل نعني بها الآنسة عفيفه عبده التي رافقتها مدة الخمس وعشرين سنه كلها وكانت لها في اعمالها عضداً قوياً

قلب المرأة

ان قلب المرأة لا يتغير مع الزمن ولا يتحول مع الفصول - قلب المرأة ينازع طويلاً ولكنه لا يموت - قلب المرأة يشابه البرية التي يتخذها الانسان ساحة لحروبه ومذابحه، يقتلع اشجارها ويحرق اعشابها ويلطخ صخورها بالدماء ويغرس تربتها بالعظام والجماجم ولكنها تبقى هادئة ساكنة مطمئنة ويظل فيها الربيع ربيعاً والخريف خريفاً الى نهايه الدهور

جبران جبران